السجن تأديب واصلاح وتهذيب

للأستاذ عريان يوسف سعد

تعنى كل بلاد تتقدم ويطرد تقدمها بإصلاح سجونها وتحويلها رويدا رويدا الى معاهد تربية عملية .

وتعنى كل بلاد باقتباس النظم التى أخذت بها البلاد الأخرى التى قطعت فى هذه السبيل شوطا أبعد .

ولقد عنيت مصر بإيفاد رجال من كبار موظفى مصلحة السجون الى مختلف الأقطار يدرسون نظم السجون فيها ويحضرون مؤتمرات السجون حتى اذا عادوا قدموا التقارير عما شاهدوا فى تلك البلاد من نظم وما شهدوا فى تلك المؤتمرات من عرض لحالات السجون والمسجونين

ولكن مصر — كما اعتقد — فاتها فى هذا الشأن أمر قل أن يعرض لمختلف البلدان مثله ، ذلك أن طائفة من شباب البلاد بعد أن قطعوا مراحل التعليم الثانوى وشطرا من التعليم العالى قضى عليهم بأن يدخلوا السجون أيام الحركة الوطنية وأن يقضوا فى السجون المختلفة اعواما طويلة منهم من كان فى السجون المركزية ومنهم من كان فى الليمان .

وكانت المدة التى قضوها فى تلك السجون دراسة عملية لشؤون السجون والمسجونين فلو أنهم بعد أن أفرج عنهم وعينوا فى وظائف الحكومة المختلفة نقلوا الى مصلحة السجون ثم انتدب بعضهم لدراسة نظم السجون فى الخارج لكانت دراستهم دراسة عميقة ولأفادت مصلحة السجون من خدماتهم أجل فائدة . فإن الرجل الذى يقضى فى الليمان أربعة أعوام بين المذنبين خليق إن كان قد نال قسطا من التعليم أن يلمس مواطن الضعف من النظام القائم بعد أن كابد محاسنه وعيوبه عن قرب .

وانى أسوق حادثا واحدا أدلل به على خطر الجمع بين المسجونين مختلف الجرائم فى سجن واحد .

فى أيام الصيف وشدة الحر تكثر فى ليمان طره الإصابات بضربة الشمس فيزيد عدد المذنبين الذين يحيلهم الطبيب الى مستشفى الحميات فى الليمان لارتفاع درجة حرارتهم ؛ ونظرا

لضيق ذلك المستشفى كانت تضرب أمام المستشفى خيمة يوضع فيها المذنبون الرائدون على أسرة المستشفى .

وحرصا على ألا يهرب أحد من أولئك المرضى كانت توضع فى الخيمة سلسلة طويلة يسلك فيها أولئك المرضى قبيل المساء بأن تمرر تلك السلسلة فى الحلقة الوسطى للسلسلة التى تربط فى رجلى كل مذنب (وتلك لا ترفع من رجليه بسبب المرض إلا إذا مات أو أشرف على الموت) فاذا مررت السلسلة فى حلقات المذنبين جميعا أقفل طرفاها بقفل ضخم و بذلك يستحيل أن يهرب واحد إلا إذا كسر السلسلة أو أخذ المذنبين جميعا معه وهذا وذلك مستحيل .

وارتفعت درجة حرارتى يوما فتقدمت للطبيب فأحالنى إلى المستشفى فأخذت فراشى وغطائى وانتقلت إلى تلك الخيمة ،وأقبل المساء فنظمنا سجان فى تلك السلسلة وأقفلها ورقدنا كل على فراشه .

وكان يجانبى رجل من الريف و بجانبه رجل من مصر شرعا يتحدثان وأنا أسمع حديثهما رغم ما بى من مرض .

قال القاهرى لصاحبه : إنت تهمتك إيه ؟

— شروع فى قتل ، وما تهمتك ؟

— سرقة بسلاح فى الليل .

— الريفى : وأى شىء كنت تسرق ؟

— القاهرى : خزنة حديد بها آلاف الجنيهات .

— الريفى : وكيف تستطيع فتح الخزنة الحديد .

— لنا شريك (رجريجى) يعنى أغريق يأخذ ثلث المبلغ بعد أن نسهل له الدخول ونضمن له سلامة الخروج ومعه سلاح يشق به الخزنة كما يشق المطيخة .

وتنهد الريفى وقال لصاحبه : آه ياخويه لو ربنا يفرجها علينا ؟ ! دا فى بلدنا واحد عنده فلوس لا يأكلها حطب ولا نار إنما الخزنة الحديد ، مين يفتحها ؟

فضحك القاهرى وقال : سيب فتح الخزنة على الله وعلى الرجريجى .

قال الريفى : أقرأ معى الفاتحة ان ربنا فك ضيقتنا ندق الدقة دى تغنينا العمر .

وقرأ الرجلان الفاتحة وتعاهدا .

هذا الريفى لم يكن سارقا ولكن اختلاطه بلص محترف يمهد له السبيل إذا خرج لأن يفتتح صفحة جديدة من الإجرام والسرقة سهل له فتحها اجتماعه بمن يحكم عليهم القضاء

بالسجن فى مختلف الجرائم فى مكان واحد تفرق بينهم المدة المحكوم بها عليهم دون نوع الجريمة .

ولو أن مصلحة السجون عنيت بألا تجعل السجن الواحد مقرا للمحكوم عليهم فى مختلف الجرائم يلقى بعضهم على بعض دروسا فيما حذقوا من ضروب الشر والأثم ويزين بعضهم لبعض الإجرام والخروج على المجتمع لقل عدد اللصوص من غير شك .

وليس ذلك بعسير على مصلحة السجون ولا يكبدها مصاريف تضيفها إلى ميزانيتها فيكون ذلك عقبة فى سبيل المشروع .

لو أن المصلحة خصصت سجنا للسارقين دون غيرهم لما هيأت الفرصة لدرس يلقيه سارق على رجل سجن بتهمة الضرب أو غيره .

ولو أن المصلحة توسعت فى هذا التقسيم لجعلت لمن زلت قدمه أول مرة سجنا لا يرسل إليه إلا أمثاله ثم تعهدتهم المصلحة بالنصيحة والتدريس لكان الأمل فى إصلاح عدد كبير منهم أملا قريب التحقيق .

هذه الطريقة تحول بين كبار اللصوص وبين من تزل أقدامهم أول زلة فتحول بين تمادى هؤلاء بعد خروجهم فى السرقة تحت إشراف من حذقوا السرقة وأتقنوها جريا وراء الكسب السهل والمتعة الزائفة .

هذا فيما يتعلق بالسرقة، وهى من غير شك جريمة شائعة فى أوساط الأجرام يتعلق بها ضعاف النفوس ويهيئ لهم نظام السجون الحالى فرصة التعرف إلى من هم أرسخ منهم قدما وأوسع حيلة فكأن القاضى لا يرسل السارق للتأديب وإنما يرسله لإتمام دراسة السرقة ما

عريان يوسف سعد

ماذا يجدى العدل فى القوانين إذا لم يكن فى القلوب وإذا كانت القلوب مؤذية فهل يجدى العدل فى القانون ؟

أناتول فرانس